التلفيق العقدي عند إخوان الصفا

محمد عبد الحميد القطاونة*

ملخص

تسعى هذه الدراسة في محاولة منها للوقوف على ملامح التلفيق العقدي الفكري عند إخوان الصفا والبحث عن مصادر هذا التلفيق في البنية المعرفية لهم، كما حاولت هذه الدراسة الوقوف على هذا النوع من التلفيق في الإلهيات والنبوات، وكيف أسست هذه الجماعة لغنوصية إسلامية من خلال التلفيق الذي مارسوه في رسائلهم، كذلك كشفت هذه الدراسة عن المنحنى الجديد الذي مثله إخوان الصفا في الثقافة الإسلامية عندما استخدمت الهرمسية والفلسفة اليونانية في الدفاع عن عقيدتها ضداً أمام استدعاء السلطة العباسية في –مرحلة من مراحلها –المنهج العقلي الاعتزالي في الدفاع عن شرعيتها، وذلك بالرجوع إلى أهم المصادر العقدية والفكرية التي أسست البنية المعرفية لإخوان الصفا.

مفاتيح الدراسة : إخوان الصفا، العقيدة ، الفكر الإسلامي ، الغنوصية، الفلسفة، التلفيق.

المقدمة:

أن معاول الهدم والتدمير التي قام بها التيار الباطني في الإسلام على امتداد المساحة التاريخية أمرها جِدُ خطير لما فيه من تشويه لمعالم الدين الحق الذي حمله الأتقياء ليخرجوا العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، الأمر الذي أغضب سدنة النار وعباد البشر فجعلهم يجمعون للتآمر على إظهار محاسن الانحراف، فاستخدموا العلم والأدب والفلسفة والمهارات كلها لتشويه سمعة الإسلام لذلك كان كشف عوار هذه الملل والنحل والجماعات وبيان حقيقتها وماهم عليه وما تلبسوا به لهدم الإسلام. من آكد الفروض على من أوتي علماً بالدين وعرف حقيقة هذه الملل.

ومن هذه الفرق جماعة إخوان الصفا، إذ تُعَدُّ هذه الجماعة من أخطر الجماعات لما تلبست في الكثيرين من أهل الثقافة والفكر، برسائلهم الموسومة "رسائل إخوان الصفا" والتي يعد حضور عقلها المستقيل في الثقافة الإسلامية سقوطاً وانحرافا لما مارسته من أثر تلفيقي[1] بين المذاهب والعقائد والأديان إذ مارس إخوان الصفا الهرمسية والغنوصية والباطنية والأرسطية والأفلاطونية بأبشع صورها في الثقافة الإسلامية. اذ أسست هذه الجماعة وخططت لقلب التصور الإسلامي الصحيح من الداخل عن طريق خلط الشريعة الإسلامية بالفلسفة اليونانية بأفكار الحركات الباطنية بخليط عجيب من الحكمة، يجمع بين خرافات الفرس ووثنية الإغريق وعقائد اليهود[2]. وأخفت نواياها باسم الفكر الحر لتؤدي تأثيرها السياسي والفكري في الساحة الإسلامية.

لهذا لم تلبث أن ظهرت تلك العقائد اليهودية المطعمة بالوثنية الفارسية والإغريقية، بعد صبغها بصبغة إسلامية خادعة، كالغيبة والرجعة، والحلول، وتجسيد الألوهية، والتأويل والتشبيه، وغير ذلك من الأفكار والعقائد[3].

وقد يعترض معترض على إعادة البحث لمثل هذه الدراسات بحجة أن هذه الفرق الضالة قد مضى عهدها وولى زمانها، وهذا من الجهل بالواقع. فحقيقة إخوان الصفا ما زالت ممتدة وإن كانت تزينت بثوب مخالف لثوبها القديم. إذ يمثل فكرهم ويتبنى أفكارهم تيارات فكرية ودينية معاصرة يتزعمها الاتجاه الحداثي الغربي[4] ومن يسانده من الحداثيين العرب المسلمين. فهم يعيدون تأثير إخوان الصفا في الانسلاخ من الشرائع والعودة بالبشرية إلى الأغلال ولهم إمكاناتهم،

* أستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية – كلية الآداب – جامعة الملك

وصحفهم، وكتبهم. لذلك وجب الانتباه لهم ومحاربتهم وكشف زيف عقائدهم وابطال مبادئهم. واذ لا يمكن التقليل من خطورتهم على عقيدة الإسلام.

وما هذه الصفحات التي نحن بصددها إلا خطوة من الخطوات التي ترمي إلى تحذير أهل الثقافة والفكر من جماعة إخوان الصفا، لذلك يرى الباحث بما لا يدع مجالاً للشك والريبة إن لم يستوعب ذلك الخطر المخلصون من الدعاة، فإن الغزو الباطني يُهدد الأمة من داخلها. لذلك كان بيان عقائد هؤلاء واجباً في هذه المرحلة التي تمر بها أمتنا للحفاظ على عقيدتنا.

صعوبات الدراسة:

ليس ثمة شك في أن مهمة الباحث، أياً كان موضوع بحثه، مهمة شاقة، لكن لا شك أيضا في أنه مما يضاعف من صعوبة مهمته أن يكتب أو يبحث في فكر جماعة سعوا إلى حجب هويتهم عن مجتمعهم ومن ثم من جاء بعدهم، ومن هنا نواجه عدة صعوبات بالغة بصدد محاولة الوصول إلى حقيقة إخوان الصفا، إذ يعد التلفيق الذي مارسوه سبباً في صعوبة تحديد هويتهم ورؤيتهم الفكرية والسياسية .

الدراسات السابقة:

يوجد الكثير من الدراسات حول إخوان الصفا وفي كثير من الجوانب العلمية منها والفلسفية، والروحية، واللغوية، والتربوية، والفكرية، بحكم تعدد الموضوعات التي مارسها إخوان الصفا في دراساتهم لذلك أحببت حصر المصادر التي تتعلق بموضعنا العقدي الفكري في هذه الدراسة ومنها كتاب المستشرقين كالمقدمة التي كتبها بالإنجليزية المستشرق توماسون "T.T.TOMASON" في عام 1837م ، وقد ضمنها فصلاً مقتطفا من رسائل اخوان الصفا سماه " تحفة إخوان الصفا" وجاء بعده في نفس العام المستشرق " نوورك" NOWORK" فنشر في برلين خلاصة وافية عن إخوان الصفا مع ترجمتها إلى اللغة الألمانية[5]. وكتاب الإسماعيلية كـ "حقيقة إخوان الصفا" لعارف تامر[6] وكتاب "فكرة الزمان عند إخوان الصفا" لصابر عبده أبا زيد، وكتاب "إخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي لمحمود اسماعيل"، وكتاب إخوان الصفا المدخل الى الغنوصية في الإسلام" لفراس السواح، وكتاب صابئة حران وإخوان الصفا" لمحمد عبد الحميد، وكتاب "في رحاب إخوان الصفا وخلان الوفا لمصطفى غالب[7] الا أن هذه الكتابات لا تخلو من تعصب أو ميل لمنهج الفرق الباطنية، وهنالك من الكتاب المعاصرين الذين كتبوا عن إخوان الصفا كتابات مقتضبة مجملة في ضمن كتاباتهم عن الفرق المتعددة كالدكتور علي سامي النشار في كتابه نشأة الفكر الفلسفي الجزء الثاني، والدكتور أحمد الخطيب في كتابه" الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، الا انهم لم يفردوا مؤلفاً خاصاً للحديث عن هذه الجماعة.

إلا ان هذه الدراسات لم تتطرق ببحث خاص حول التأثير التلفيقي الذي مارسه إخوان الصفا في رسائلهم ولا عن دوافع هذا التلفيق فيه. وهذه الدراسة ليست الوحيدة حول إخوان الصفا بل هي لبنة حاول الباحث من خلالها ان يكشف عن بعض الغموض حول هذه الجماعة آملاً ان تكون هذه الدراسة إضافة إلى تراثنا الإسلامي المنيع المدافع عن عقيدة وفكر هذه الامة.

منهج البحث:

إن طبيعة البحث تقتضي تضافر مجموعة من المناهج البحثية لاستقصاء مادة الموضوع وتحليلها، وتتبع التطور التاريخي، وتبين التأثير التلفيقي العقدي الذي مارسه إخوان الصفا، وعليه سيعتمد البحث الحالي على:

المنهج التاريخي: للرجوع للسياق التاريخي الذي عاش فيه إخوان الصفا للوقوف على تاثيرات تلك المرحلة التاريخية، والمنهج الاستقرائي: لاستقراء أهم المفردات والافكار والعقائد لجماعة إخوان الصفا، وتتبع روابطها بما سبقها وعاصرها في الفكر الإسلامي، وأبعاد ذلك

في الفكر الإسلامي المعاصر. والمنهج التحليلي: لتحليل مفردات المادة ومفاهيم الموضوع الأساسية، بغية فهم هذا الجماعة، وتوضيح أفكارهم بما يخدم الساحة الإسلامية الأصيلة.

لذلك جاءت الدراسة مشتملة على مقدمة ومبحثين وخاتمة: المبحث الاول بعنوان: نشأة إخوان الصفا والتلفيق في البنية المعرفية، موضحاً فيه المصدر التلفيقي الفلسفي لإخوان الصفا والمصدر الإسلامي التلفيقي والمصدر الباطني، وأما المبحث الثاني فكان بعنوان: إخوان الصفا المنحنى الجديد والرؤية الهرمسية. موضحاً فيه دواعي استخدام الفلسفة عند إخوان الصفا، والتلفيق العقدي عند إخوان الصفا، وخطورة استدعاء رسائل إخوان الصفا في واقعنا المعاصر.

المبحث الاول:

نـشأة إخوان الصفا[8]:

يعد أقدم مصدر حدثنا عن إخوان الصفا هو أبو حيان التوحيدي[9] في كتابه "الإمتاع والمؤانسة" يجيب فيه على سؤال للوزير ابي عبدالله الحسين بن أحمد بن سعدان المتوفى سنة 375هـ ، عن زيد بن رفاعة وحقيقة معتقده ، حيث يفيدنا ابو حيان التوحيدي عن هذا الرجل فيقول " أنه قام بالبصرة زماناً طويلاً ، وصادق بها جماعة جامعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة، منهم (أبو سليمان محمد بن معشر البستي ، ويعرف بالمقدسي، وغيره مصحبهم وخدمهم، وكانت هذه العصابة قد تآلفت بالعشرة، وتصافت بالصداقة، واجمعت على القدس والطهارة والنصيحة ، فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قربوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله ، وذلك أنهم قالوا : الشريعة قد دُنست بالجهلات واختلطت بالخلالات، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة ، وذلك لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية، والمصلحة والاجتهاد، وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية، فقد حصل الكمال، وصنفوا خمسين رسالة في جميع اجزاء الفلسفة، علميها وعمليها وافردوا لها فهرسة وسموها "رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء " وكتموا أسماءهم ، وبثوها في الوراقين ، ولقنوها للناس[10]".يتضح لنا من خلال هذا النص الوحيد الذي يحدثنا عن إخوان الصفا ونشأتهم ورسائلهم أن هذه الجماعة قد عُرفت في منتصف القرن الرابع الهجري[11].تقريباً وهذه السنوات كانت اياماً عصيبة على العالم الإسلامي فقد بلغت فيها الخلافة العباسية من الضعف حداً جعل الأمور تفلت من يدها، حيث تجرأ على الخلافة العباسية كل ناعق وكل زنديق، ويظهر أن إخوان الصفا كانوا من هؤلاء الذين بدأوا بنشر عقائدهم لهدم الخلافة الإسلامية في ذلك التاريخ . ولعلنا الان نقف على بنيتهم المعرفية حتى نستطيع تجلية أمرهم وفكرهم ومدى دعوتهم إلى الفهم العقدي التلفيقي والذي نحن بصدد الدراسة حوله.

التلفيق في البنية المعرفية لإخوان الصفا:

في البدايه لا بد لنا من الوقوف على المصادر والبنية المعرفية التي استقى منها إخوان الصفا فلسفتهم وعقائدهم وعلومهم، وكيف كان لذلك الأثر في تحديد معالم تلك العقيدة التلفيقية، وخاصة القضايا والمسائل العقديه والتي هي محل الدراسة والبحث. فبادئ ذي بدء نجد أن إخوان الصفا يؤكدون على أنهم لا يتعصبون لمذهب من المذاهب ولا يعادون علماً من العلوم ، بل إن من أهم الواجبات على المسلم طلب العلم الذي هو فريضة من الفرائض التي ينبغي أن يقوم بها[12].

إذ يرى إخوان الصفا أنه ليس ما يمنع البتة من أخذ الحقيقة من هذا أو من ذاك رغم ما قد يختلف عليه الآخرون في بعض العقائد والافكار ، لذلك ذهبوا في جمعهم للعناصر الدينية والفلسفية من مصادر

مختلفة: كالمعتزلة والشيعة، ومن التوراة والانجيل، ومن الزرادشتية والمانوية مع الفلسفة اليونانية، فيقول إخوان الصفا " وبالجملة ، ينبغي لإخواننا ايدهم الله تعالى ، ألا يعادوا علماً من العلوم أو يهجروا كتاباً من الكتب ، ولا يتعصبوا لمذهب على مذهب، لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم جميعاً[13]" وهذا ما يقرر ما ذهب إليه أبو حيان التوحيدي من أن إخوان الصفا كانوا يدينون بالمعارف الإنسانية والديانات كلها على السواء. ويرون أن انبياءهم: نوحاً ، إبراهيم ، سقراط ، افلاطون ، زرادشت، وعيسى ، ومحمداً وعلياً . وسقراط وعيسى وحوارية بل يرون أن الحقيقة في كل دين موجودة أو جانب منها " فاعلم أن الحق في كل دين موجود وعلى كل لسان جارٍ وأن الشبهة دخولها على كل انسان جائز ممكن ، فاجتهدوا يا أخي أن تبين الحق لكل صاحب دين ومذهب مما هو في يده ، أو مما هو متمسك به .... [14]" .

بل نجدهم يشرعون لهذه الفكره ويقررونها " ثم اعلم أن الأنبياء، عليهم السلام، لم يختلفوا فيما يعتقدون من الدين سراً وعلانية .... وأما الشرائع[15] التي هي أوامر ونواهٍ واحكام وسنن فهم فيها مختلفون[16]". اذاً نحن أمام جماعة تؤمن بفكرة المذهب العالمي بل جماعة تُؤسس لإسلام كوني فجمعهم بين عناصر دينية من مذاهب مختلفة ينم عن انهم كانوا يميلون إلى المذهب العالمي وهو النظر إلى كل الآراء الدينية الإنسانية بمقياس واحد، وغايتهم من ذلك كله على حد زعمهم فهم الشرط الإنساني والعمل بما يوجبه هذا الفهم من أجل حياة عقليه فلسفية ونفسية وروحية متوازنة في هذا العالم، ويُعد الإنسان إلى الخلود الروحي. فقد كان مذهبهم تذويب جميع تلك الخلافات، والصراعات والنزاعات الاجتماعية والدينية في مذهب واحد شامل مبني على أساس متين ومبادئ مستوحاة من الأديان كافة ، والمذاهب والنحل[17]. لذلك ذهب البعض إلى القول بانتماء إخوان الصفا إلى الماسونية[18] العالمية لما يقولون بوحدة الدين العالمي .

التلفيق في مصادر إخوان الصفا:

اما عن مصادر فلسفة إخوان الصفا فإنهم يكشفون عنها بصورة عامة، في قولهم "إن علومنا مأخوذة من أربعة مصادر: أحدها الكتب المصنفة على ألسنة الحكماء والفلاسفة من الرياضيات والطبيعيات. والثانية الكتب المنزلة التي جاء بها الأنبياء صلوات الله عليهم مثل التوراة والانجيل والفرقان وغيرها من صحف الانبياء المأخوذة معانيها بالوحي من الملائكة وما فيها من الأسرار الخفية، والثالث: الكتب الطبيعية وهي صورة واشكال الموجودات بما هي عليه الآن من تركيب الافلاك وأقسام البروج وحركات الكواكب ومقادير اجرامها، الرابع: الكتب الإلهية التي لا يمسها إلا المطهرون الملائكة وهي جواهر النفوس واجناسها وأنواعها وتحريكها لها وتدبيرها أياها وتحكمها عليها وإظهار أفعالها بها [19]".إذاً من خلال ما سبق نستطيع حصر مصادر إخوان الصفا في الجانب الفكري العقدي إلى ثلاث مصادر هي: المصدر الفلسفي اليوناني والمصدر الإسلامي والمصدر الباطني .

أولاً: المصدر الفلسفي وأوجه التلفيق فيه:

إن من إحدى ركائز إخوان الصفا في بنيتهم المعرفية هي مزج الدين بالفلسفة، فتراهم يأتون بشواهد من أقوال الفلاسفة والحكماء، بجانب الشواهد من أقوال الرسل والأنبياء، فبينما يستشهدون بأقوال أرسطوطاليس وفيثاغورس، و هم يثبتون ايضاً أقوالاً مأثورة عن المسيح والرسول –عليهما الصلاة والسلام–، في آن واحد ففلسفتهم حسبما رددوا في رسائلهم، قائمة على التوفيق، فقد جمعوا فيها بين ما

جاءت به الأديان، وما جاء على لسان الحكماء، وما انتجته قرائح الفلاسفة والعلماء، وأضافوا إلى ذلك بعض الشعوذات[20]". ويعلل إخوان الصفاء هذا التلفيق: "بأن الشريعة قد دُنست بالجهالات، واختلطت بالضلالات، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة؛ لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية، فمتى انتظمت الفلسفة الاجتهادية اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال[21]".

لذلك اخذت الفلسفة اليونانية المساحة الأكبر عند إخوان الصفا، لهذا فهم يعرفون الفيلسوف على أنه الحكيم، وأن الفلسفة هي التشبيه بالإله على قدر الطاقة البشرية. ولا يخفى علينا ان منهج التوفيق بين الدين والفلسفة[22] هو منهج الكثير من الفلاسفة المسلمين كالكندي والفارابي وغيرهم، ولكن إخوان الصفا ولكثرة إقحامهم الفلسفة في الدين بلغوا أقصى غايات هذه المدرسة. كما لا يمكننا اغفال أن الغرب المسيحي كان يشهد قيام عملية مشابهة من التوفيق بين الدين والفلسفة على يد القديس أوغسطين، الذي يعد من أبرز الأفلاطونيين المحدثين في الفكر المسيحي، وبسبب مؤلفاته تحولت الفلسفة إلى مصادر علم اللاهوت المسيحي[23]. ويمكن تشبية تأثيره بالتأثير الذي ادّاه الفيلسوف الكندي وإخوان الصفا في الثقافة الإسلامية. فلقد تأثر إخوان الصفا بالفلسفة اليونانية، ووضعوا فيثاغورث وافلاطون وأرسطو في درجة تعادل درجة الانبياء واستشهدوا بأقوالهم في سياق واحد مع اقوال عيسى المسيح والرسول محمد صلى الله عليه وسلم كما تأثروا بالفلسفة الافلاطونية الحديثة[24] لا سيما بنظرية الفيض الإلهي[25] التي تفسر كيفية ظهور العالم عن الله، كذلك صبت في إنائهم الفكري تيارات قادمة من الهند وفارس. لذلك خرجوا من ذلك كله بمنهج أصيل أسس لامتزاج "العقلي" "بلا عقلي" ونعني بذلك امتزاج الفلسفة بالغنوصية الإسلامية[26] والتي أعطت خبثها بعد ذلك في الفرق الإسلامية[27] وذات الطابع الفلسفي منها وهي الإسماعيلية[28] والنصيرية والدرزية.

وإذا أردنا تمييز فكرة التلفيق الديني العقدي عند إخوان الصفا عن غيرهم بشكل ادق، نستطيع أن نقول إن إخوان الصفا كانوا يأخذون بالنمط البسيط وهو شرح الحقائق الدينية المجملة بالآراء_الفلسفية التي من شانها ان تكون مفضلة، بينما نجد نمطاً آخر وهو النمط التأويلي وهو أدق وأعمق من سابقه والمراد به تأويل الحقائق الدينية بما يتفق مع الآراء الفلسفية أو إخضاع تلك الحقائق لهذه الفكرة ، وهذا النوع موجود عند الفارابي وابن سينا لا انه يكاد يكون معدوماً عند إخوان الصفا ويرى البهي أن سبب بعد إخوان الصفا عن هذا النمط والتزامهم النمط البسيط هو انهم وجهوا أنظارهم إلى جذب الجمهور أكثر من التوجه إلى الخاصة، وطبع الجمهور يميل إلى السطحية دون التعمق[29]. وهذا بالفعل ما يعلل ما ذهبنا اليه في دراستنا هذه من توجهات إخوان الصفا السياسية، في استخدام الفلسفة.

ولكن لابد لنا من القول بأن فلسفة هذه الرسائل ليست فلسفة أصيلة[30]، وإنما هي محاولة لمزج العقائد الإسلامية بغنوص أفلوطين ثم بغنوص الغيثاغورية المحدثة، مع عملية توفيق. فليست في هذه الرسائل أصالة فكرية تعبر عن المجتمع والثقافة الإسلامية، كما يعبر عنها التصور الإسلامي الصحيح، انها بلا شك محاولة فلسفية منسقة ولكنها بعيدة كل البعد عن روح الإسلام.

ثانياً: المصدر الإسلامي وأوجه التلفيق فيه:

يستشهد إخوان الصفا في رسائلهم في كثير من المواقع بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية[31] اذ يستدلون فيها على صحة النظر الفلسفي ويزاوجون بينها وبين نصوص الانجيل والتوراة[32] فيذكرون في

فضل أنواع مواهب الله " كذلك لا يجب أن يمن على ابنه النفساني لأنه إن كان ذلك ابنه الجسداني، فهذا ابنة النفساني، كما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي عليه السلام " أنا وأنت أبوا هذه الأمة " وقال صلى الله عليه وسلم : " المؤمن أخو المؤمن من ابيه وامه " وقال إبراهيم عليه السلام " فمن تبعنى فإنه مني " وقال عز وجل لنوح عليه السلام حيث قال " إن أبني من أهلي "قال " إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح " وبهذا المعنى قال المسيح عليه السلام ، للحواريين : " جئت من عند أبي وأبيكم[33]".

من خلال النص السابق نرى كيف يستشهد إخوان الصفا بالقران والحديث والانجيل وحتى عند الاستشهاد بالقرآن يحاولون ذكر الآيات التي جاءت على لسان الانبياء وذلك للتقرب إلى جميع الديانات ومن خلال القرآن الكريم.

وهذا نص آخر يبين بوضوح استدلال إخوان الصفا بأقوال الفلاسفة وبالحديث والقرآن والإنجيل في مسألة واحده وهذا على سبيل المثال لا على سبيل الحصر وإلا فالأمثلة كثيرة .يقول إخوان الصفا في باب " وقال فيتافورس في الوصية الذهبية : إذا فعلت ما قلت لك ياديوجانس ، وفارقت هذا البدن حتى تصير نحلاً في الجو، فتكون حينئذ سائحاً غير عائد إلى الانسانية ولا قابل للموت، وقال المسيح – عليه السلام – للحواريين في وصية له: إذا فارقت هذا الهيكل فأنا واقف في الهواء عن يمنة عرش ربي ، وأنا معكم حيثما ذهبتم، فلا تخافوني حتى تكونوا معي في ملكوت السماء غداً. وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأصحابه في خطبة طويلة: أنا واقف لكم على الصراط وإنكم ستردون على الحوض غداً فأقربكم مني منزلاً يوم القيامة من خرج من الدنيا على هيئة ما تركته، ألا لا تغيروا بعدي ...[34]" فمن خلال هذه النصوص يرى الباحث أن إخوان الصفا بالرغم من استدلالهم بالقرآن والحديث النبوي إلا أنهم يجعلونهما في صف واحد ان لم يكونا متأخرين عن باقي المصادر في الاستشهاد من كتب الديانات والفلسفات، فالمصدر الإسلامي الأصيل ليس له أولوية في رسائل إخوان الصفا.

ثالثاً : العلوم الباطنية: يجعل إخوان الصفا رسائل كاملة في تلك العلوم من علم الأعداد والحركات والحروف وعلم الجفر[35] المعروف لدى الفرق الباطنية، وفرق الشيعة بصفة عامة والشيعة الاثنا عشرية بصفة خاصة، وهذه العلوم يسميها إخوان الصفا "الكتب الإلهية"، وهي جواهر النفوس واجناسها وانواعها وجزئياتها وتصاريفها ، وتحريكها لها وتدبيرها إياها[36]".

يقول ابن تيمية بصدد هذا" وأما الكذب والأسرار التي يدّعونها عن جعفر الصادق: فمن أكبر الاشياء "كذباً " حتى يقال: ما كذب على أحد ما كذب على جعفر رضي الله عنه. ومن هذه الأمور المضافة: كتاب "الجفر" الذي يدّعون أنه كتب فيه الحوادث، ومثال ذلك في رسائل " إخوان الصفا، وأتو بكلام المتفلسفة وبأشياء من الشريعة وفيه من الكفر والجهل شيء كثير، ويزعمون أنه من كلام جعفر الصادق وهذا قول زنديق وتشنيع جاهل[37].

وهنا نجد إن إخوان الصفا لم يتورعوا في بحثهم عن الحقيقة كما يدّعون من الأخذ من كتب ومذاهب الباطن وكتب السحر وغيرها من العلوم التي لم تثبت صحتها وعلميتها. فهم ان كانوا أقحموا الفلسفة في محاولة من التوفيق بينها وبين الدين فهم هنا يمارسون الغنوصية في ساحة الفكر الإسلامي بأبشع صورها كونها أساساً اعتمدت عليه الفرق الباطنية[38]، قديماً وحديثاً.

انتماءات إخوان الصفا:

يمكننا القول إنه لا يوجد في تاريخ الفكر الإسلامية شخصية أو جماعة اختلف الباحثون قديما وحديثا في انتمائهم وحقيقتهم ومذهبهم وأثرهم في الحياة الفكرية كاختلافهم في حقيقة إخوان الصفا، وهذا شيء طبيعي لجماعة تؤمن بمزيج من الاديان وصحة جميع

المعرف الإنسانية. فمن الباحثين من ينظر إليهم نظرة شك وريبة، ومنهم من ينظر إليهم نظرة إعجاب وتقدير، ويرى فيهم رواد فكر ودعاة إصلاح، ومنهم من يرى أنهم ليسوا الا جناحاً فكرياً للإسماعيلية الباطنية، ومنهم من يرى أن رسائل الإخوان من تأليف الأئمة. ولعلنا نقف على هذه الآراء بتفصيلها.

الاتجاه الاول: يرى بأن إخوان الصفا هم بواكير الحلقات الفلسفية التي أسست لمذهب إسلامي كوني يقوم على التأويل والتفسير. ويرون بأن إخوان الصفا بالرغم من تأثرهم بالاعتزال، وبالبيئة الشيعية التي صدر عنها، إلا أنهم مستقلون عن الشيعة وعن المعتزلة وبقية المذاهب الإسلامية واتسم مذهبهم بالأصالة على الرغم من أن كل التيارات الفكرية الروحانية لعصرهم قد صبت في إنائهم ورفدته[39]. ويرى هذا الاتجاه أن إخوان الصفا شأنهم شأن غيرهم من الفرق لهم اتجاههم الخاص وعقيدتهم الخاصة. وقد أفادوا من هذا التيار وذاك، والناظر في هذا الاتجاه يرى أن أصحابه يريدون ابعاد تهمة التشييع وباطنية إخوان الصفا والقول بأنهم لم يكونوا الا اتجاهاً عقلياً مستقلاً صاحب قواعد واصول مستقلة. ويمثله عارف تامر ومصطفى غالب. الفرق بين الفرق

الاتجاه الثاني[40] : ويراه ابن تيمية "رحمه الله" وهو أن إخوان الصفا كانوا من "الصابئة المتفلسفة المتحنفة " فيعرفهم بقوله " كانوا من الصابئة المتفلسفة المتحنفة: جمعوا بزعمهم بين دين الصابئة المبدلين وبين الحنفية، وأتوا بكلام المتفلسفة وبأشياء من الشريعة ، وفيه من الكفر والجهل شيء كثير[41] "

الرأي الثالث[42]: ويذهب هذا الاتجاه إلى انتماء إخوان الصفا إلى المذهب الاسماعيلي[43] الباطني وليسوا الا الإسماعيلية في دور الستر، وهم ممثلو المذهب الغنوصي في الحضارة الإسلامية، وهم أيضاً فلاسفة الإسماعيلية الذين كانت رسائلهم سجلات للمحافل السرية والمجالس التعليمية التي مهدت لقيام دولة الفاطميين بالمغرب ومصر[44]".

وما يؤكد ذلك أن رسائل إخوان الصفا تمثل نموذجاً باطنياً ليس من حيث المضمون فقط، بل من حيث الشكل أيضاً، لأن عدم تصريح واضعي الرسائل بأهدافهم الحقيقية بنسجم بشكل أكيد مع أسلوب الدعوة الإسماعيلية في كيفية عرض عقائدهم على الجمهور الواسع غير الملتزم بهذه العقائد وغير المنخرط في صفوف الدعوة.

كذلك لو رجعنا إلى نصوص رسائلهم، لوجدنا أن إخوان الصفا يظهرون النزعة الشيعية في القسم الرابع من مجموعة الرسائل، ويتجلى ميلهم هذا في كثير من المقاطع. إذ يصرحون بأسماء بعض الأئمة، ويحتجون بكلام الحسين[45] ، كما أنهم يشيرون في مكان آخر إلى كربلاء عند ذكرهم تعريض الانبياء اجسامهم للهلاك في سبيل رسالتهم فيقول " ومما يدل على أن أهل البيت عليهم السلام كانوا يرون هذا الرأي تسليم أجسامهم إلى القتل يوم كربلاء وصبرهم على العطش والطعن والضرب. حتى فارقت نفوسهم اجسادهم، ورفعت إلى ملكوت السماء، ولقوا آباءهم الطاهرين محمداً وعلياً والمهاجرين والانصار[46] "إلى أن يصلوا إلى مقطع من تلك الرسائل فيعلنوا بدون التواء انتماءهم إلى مدرسة التشييع:" ومما يجمعنا واياك ايها الأخ البار الرحيم محبة نبينا عليه السلام وأهل بيته الطاهرين، وولاية أمير المؤمنين علي بن ابي طالب خير الوصيين [47]".

أما على الصعيد السياسي ايضاً تُظهر الرسائل نقمة على السلطة الشرعية ومسعى للثورة عليها، وهو هدف الإسماعيلية النهائي، فنجدهم في هذه الرسائل يتنبؤون بانتهاء الحكم الحاضر وذلك كما يزعمون " لأنه قد تناهت قوة أهل الشر وكثرة أفعالهم في العالم في هذا الزمان وليس بعد التناهي في الزيادة إلا الانحطاط

والنقصان[48] "فهذا النصر يُظهر حقد الجماعة على الخلافة الحاكمة في ذلك التاريخ والعمل على اسقاطها وهذا هدف الاسماعيلية والباطنية في عصر الدولة العباسية عندما تعاظم امرهم وقويت شوكتهم.

ولا بد أن نضيف شاهداً اخر وهو القول بالتقية والأبوة الروحانية، وهذه من الاعتقادات المهمة عند الإسماعيلية وكذلك لدى إخوان الصفا، حيث نجد للتقية وحفظ السر وكتمانه ذكراً وتأكيداً في رسائلهم[49]، كما أن للأبوة الروحانية وأهمية تلقي العلم من معلم موثوق ومعصوم وجوداً في رسائل إخوان الصفا، حيث افردوا لها رسالة كاملة وهذا يدل على اهميتها عندهم[50]. كما أن ذكر الكواكب والافلاك وأثرها في عالم الكون طاغية في الرسائل، لا تختلف في أي ناحية منها كما هو موجود في كتب الاسماعيلية[51].

ويميل الباحث الى الرأي الثالث لما في الرسائل من تشابه فكري وعقدي وسياسي للإسماعيلية، اما الرأي الأول والذي يذهب إلى أن إخوان الصفا هم معتزلة وإسماعيليون وفيثاغوريون و افلاطونيون وما هم إلا باحثون عن المعرفة فهذا في الحقيقة دليل آخر يؤكد بأن رسائل إخوان الصفا إسماعيلية، لأن هذا الخليط من العقائد والفلسفات هو مصدر العقائد الاسماعيلية فالكتاب الإسماعيليون[52] يستشهدون بأقوال الفلاسفة والأنبياء جنباً إلى جنب باعتبار أن الفلسفة عن هؤلاء في مصاف الأنبياء ، والفلسفة عند إخوان الصفا هي" التشبه بالإله بحسب طاقة الإنسان[53]" وهذا ما ينطبق على الرأي الثاني فيثبت فيه ابن تيمه رحمه الله بأنهم جمعوا بزعمهم بين دين الصابئة المبدلين وبين الحنفية، وأتوا بكلام المتفلسفة وبأشياء من الشريعة، وهذا التلفيق الذي عنيناه في بحثنا، وهذا لا يبطل من جانب كون اخوان الصفا كانوا مرحلة جديدة على صعيد الحركة الاسماعيلية .

المبحث الثاني:

رسائل إخوان الصفا المنحنى الجديد في الفكر الباطني:

لا بد وأن كل من كتب أو قرأ عن إخوان الصفا وقع في الحيرة لهذه المنهجية التي تجمع بين "المعقول واللامعقول" أي تجمع بين الفلسفة ذات الطابع الفكري العقلي الفلسفي، وبين الغنوصية والهرمسية ذات الطابع الباطني اللا عقلي، فكيف نستطيع فك هذه الرؤية الجديدة الطارئة على الفرق الباطنية، لذلك لا بد لنا من استدعاء التاريخ وتأثيراته في تلك المرحلة المهمة التي تشكلت فيها رؤى وأفكار إخوان الصفا ولا بد لنا من الوقوف على الظروف والملابسات التي أدت إلى استدعاء هذا النوع من التفكير على الساحة الفكرية الدينية من قبل الفرق الباطنية وإخوان الصفا تحديداً .

فكما هو معلوم أن الحركات الباطنية كانت تهدد دولة الخلافة العباسية وقد شعرت السلطات العباسية بخطورة الحركات بمغالطاتها الدينية والسياسية والاجتماعية وضرورة تقييدها فدعوا إلى حملة نشطة وقوية تدعمها الدولة لمجابهة الباطنية[54].

وكيف عمل العباسيون والخليفة المهدي بكيفية خاصة، على محاربة الحركات المانوية والباطنية بجميع الوسائل وإلى جانب هذه المطاردة بالسيف كانت مطاردة بـ"القلم" فتصدى الكثير[55] من المحدثين والمتكلمين أو الفقهاء للرد عليهم وفضح أفكارهم، غير أن هذه الردود كانت مبادرات فردية ولم تتحول إلى استراتيجية للدولة إلا عندما وجدت نفسها أمام حركة نشطة تعمل في السر والعلن، وتوزع كتبها ورسائلها ومنشوراتها بكميات كبيرة مما مكنها من فرض نفسها على الساحة الثقافية والطموح إلى السيطرة عليها ، فكان من الطبيعي أن يقوم العباسيون برد فعل قوي ومنظم على الساحة نفسها. ومن هنا بدأت عملية "تدوين العلوم وتبويبها" لأهميتها كعمق للثقافة الإسلامية كرد فعل يستهدف جمع الموروث الإسلامي

العربي وتنظيمه لمقاومة المانوية والباطنية وكل التيارات المهاجمة للإسلام والمعارضة لدولته. وبعد قدوم المأمون وهو صاحب الاتجاه العقلي الاعتزالي رأى أن مقارعة هؤلاء لا تكون إلا بالعقل كأساس معرفي لأن الفرق الباطنية تؤمن بالغنوص[56]، وهو بالوحي أشبه، الشيء الذي يربط الاتباع بـ " المعلم " بوصفه يتلقى الحقيقة من أعلى، وليس بالفكرة أو المذهب، فلقد كان لابد أن يتجه التفكير إلى السلاح المضاد للغنوص وهو الجدل والمنطق كما رأى المأمون[57]. إذاً كانت هذه الحركات هي الدافع وراء استخدام المأمون واستنجاده بأرسطو في إطار استراتيجية عامة كانت تستهدف تذهيب الفلسفة حكماً في النزاعات الدينية الأيدلوجية. لتحطيم افكار الباطنية بين الطبقة العامة والمثقفة أو أمام الجمهور. لذلك كانت تستهدف هذه الحركة قضيتين أولاً: الدفع بالحركات الباطنية للكشف عن نفسها وعن تنظيماتها السرية من جهة ثانية: مقاومة العقيدة الباطنية الشيعية من جهة أخرى[58]. إذاً اتجه المأمون، إلى أرسطو لمقاومة الغوص المانوي والعرفان الشيعي وهما من طبيعة واحدة فلم يكن من سلاح غير استخدام الفلسفة اليونانية لصد الهجمات الغنوصية التي كانت تهدد ليس فقط العباسيين كدولة بل الفكر الديني " الرسمي " بشقية المعتزلي والسني. ومن هنا نستطيع تفسير حماسة الخليفة المأمون للعمل على ترجمة أكبر عدد ممكن من مؤلفات الفلاسفة اليونان إلى العربية.

وهنا ندرك أن رسائل إخوان الصفا قد جاءت ضداً من طرف الشيعة الباطنية على استراتيجية المأمون الثقافية، تلك الاستراتيجية التي استهدفت مقاومة الاطروحات الباطنية الغنوصية بأطروحات عقلية تعتمد علم ارسطو ومنطقه بكيفية خاصة. فتأتي رسائل إخوان الصفا في إطار استراتيجية إسماعيلية مضادة تقوم على تكريس وتعميق الاتجاه "الباطني" بطريقة جديده توفق فيها بين مختلف الآراء واتخذت طريقها كدعوة مسلحة بالفلسفة اليونانية والغنوصية، مكونة مزيجاً لا مثيل له في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية. والا لما كان كل هذا الحضور الكبير للفلسفة اليونانية في رسائل إخوان الصفا بالرغم من تناقض العقلي بالاعقلي.

التلفيق العقدي عند إخوان الصفا:

أولاً: الألوهية ونظرية الفيض:

اخذ إخوان الصفا في رسائلهم بنظرية الفيض[59] الافلاطونية[60] للتدليل على آرائهم بالألوهية، وقد عمل إخوان الصفا على تلفيق عدة نظريات فلسفية في محاولتهم اظهار صحة معتقدهم في الألوهية، " فأخذوا بنظرية الفيض عن أفلوطين بالإضافة إلى فلسفة أرسطو القائلة بالهيولي والصورة. ومما يذكر أن نظرية الفيض ترجع إلى الفلسفة الافلاطونية الحديثة وأول من قال بها أفلوطين مؤسس هذه المدرسة، وهي النظرية التي تقول بها الاسماعيلية عند حديثها عن الالوهية ومراتب الوجود.

وقد لخص إخوان الصفا نظريتهم في الفيض بالرسالة الأولى من المجلد الثالث بقولهم " أن الله تعالى لما كان تام الوجود كامل الفضائل عالماً بالكائنات قبل كونها قادراً على إيجادها متى شاء، لم يكن من الحكمة أن يحبس تلك الفضائل في ذاته فلا يجود بها ولا يفيض. فإذا بواجب الحكمة أفاض الجود والفضائل منه كما يفيض من عين الشمس النور والضياء، ودام ذلك الفيض منه متصلاً متواتراً غير منقطع في غاية التمام. وفاض من العقل الفعال فيض آخر دونه في الرتبة يسمى العقل المنفعل ...[61]" .

فنظرية الفيض التي يؤمن بها إخوان الصفا وآمنت بها الاسماعيلية ، توحي لمن تمعن بها بأن هذا العالم قديم ، باعتبار أن الله قديم ، فالعالم الذي فاض عنه قديم مثله ، ولهذا فلا نهايه له أيضاً ، فالله الذي فاض منه هذا العالم باق ، فالفيض الذي فاض منه

باق ببقائه وهذا انحراف في فهم العلاقة بين الخالق والمخلوق ولاشك فإن هذه القاعدة هي حجر الزاوية في فهم العلاقة بين الخالق والمخلوق بين أهل السنة والجماعة وبين الفرق المنحرفة في الإسلام، فهناك في الإسلام الفهم المعقول لانفصال الله التام عن العالم وهنا علاقة التوحد في العالم إذ ليس من السهل أن يعثر هؤلاء على ادلة في القرآن الكريم على نظرياتهم للبينونة بين الحالتين والصورتين[62]. وهذه العقيدة بعيدة عن الإسلام ومخالفة له تماما، متعارضة مع كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، إذ الأصل في هذه المسألة عند المسلم أن يعتقد مغايرة الخالق سبحانه لخلقه وانفصال الموجودات كلها عن موجدها وخالقها، ثم إن وجوده تعالى وجود أزلي لا بداية له ولا نهاية، ووجود العالم حادث له بداية ونهاية إلا أن هذه النظرية لم تقف عند هذا الحد فراحت تكرس فكرة الإمامة عند الاسماعيلية ، فقد بدأ الاسماعيلية بنظرية الفيض الأفلاطونية ، تلك التي بنى عليها إخوان الصفا فلسفتهم الدينية في رسائلهم ، واستنبطت الاسماعيلية من هذه الفلسفة اعمق نتائجها وأشدها تعرفاً ، فوضعوا بذلك نظاماً فلسفيا هو صورة تاريخية منعكسة لنظرية الفيض الكوني التي وضحتها هذه الفلسفة ، وقد بينوا فيه المظاهر الدوريه للعقل الكلي، التي بدأت سلسلتها بآدم عليه السلام وانتظم فيها نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليه الصلاة والسلام، واختتمت بالإمام الذي يلي الأمام السادس عند الشيعة – وهو اسماعيل وابنه محمد – مكونين حلقة سبعية، وكل مظهر من هذه المظاهر الدورية للعقل الكلي يبدد في وقته حتى يكمل إنجاز العمل الذي أداه المظهر السابق، أي أن الوحي الإلهي لا ينقطع ولا ينتهي في فترة زمنية من فترات تاريخ الخليقة ، وبهذا النظام الدوري المتكرر ، يلي المهدي الناطق السابع، آتياً برسالة تعد من حيث هي مظهر من المظاهر الدورية ، اكمل واعظم مما سبقتها، بل تفوت رسالات من سبقه حتى رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم[63].

وهذا التطبيق لفكرة الفيض تهدم احد دعائم الإسلام الاساسية وهي أن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، وهذه التصور ينبيء عن زيغ في العقيدة ، وأن لم يظهر اثر هذا التطبيق في الرسائل إلا أنه ظهر في آراء من اتخذوا رسائلهم كتاباً يقتدى به أو دستورا للعقيدة وهم الاسماعيلية ، فالنظرية في ذاتها تهدم العقيدة الإسلامية في الله وقدرته ، منهم وإن قالوا بأن الله خالق العالم، لكنهم قرروا أنه لا يستطيع خلقه وأن العالم صدر عنه كما يصدر الضوء عن الشمس فهو لازم له لا يستطيع حبسه ومنعه ، وهذا القول ينفي قدرة الله جل جلاله كما يفهمها المسلمون وينفي الإرادة الإلهية كما يقول بها الإسلام ويصف الله – جل وعلا – بأنه لا حيلة له في خلق العالم، ولا شأن له به ، ولا رأي له فيه

التلفيق العقدي في النبوات:

أفرد إخوان الصفا الرسالة السادسة من الجزء الرابع من رسائلهم للبحث في ماهية الناموس الإلهي وشرائط النبوة، وهم يرون أن ارفع منزلة يرتفع إليها الانسان هي منزلة الانبياء، ويليها في المرتبة الفلاسفة والحكماء، وأن تمام منزلة النبي في ست وأربعين خصلة من فضائل البشرية أولها الرؤية الصادقة. فإذا اجتمعت هذه الخصال في واحدة من البشر، في أي وقت من الزمن فإن ذلك الشخص هو المبعوث وصاحب الزمان، والإمام للناس ما دام حياً[64].

وهذا يعني أنهم لا يؤمنون بختم النبوة، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين فعلى حد زعمهم : كلما توفرت هذه الخصال في إنسان أصبح نبياً مرسلاً ؟ فالنبوة عندهم هي درجة يرتقي إليها العلماء والفلاسفة ، فهي عندهم أرقى الدرجات ، " ولذلك فقد عدوا كل فيلسوف كبير نبياً ، ومن أجل

ذلك نراهم يجمعون بين موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، وزردشت وسقراط وفيثاغورس وعلي والحسين في طبقة واحدة [65]" .

أما عن النظرة التلفيقية التي مارسها إخوان الصفا على صعيد النبوات فهي ظاهرة وبيّنة في ما لا يدع مجالا للشك بأنها منهجية شاملة كانت تتبعها هذه الجماعة . فقالوا: " بأن غرض الانبياء عليهم السلام وواضعي النواميس الإلهية من الفلاسفة والحكماء، غرض واحد وقصد واحد، وإن اختلفت شرائعهم وسنن مقترحاتهم وأزمان عباداتهم، كما أن غرض الأطباء كلهم غرض واحد ومقصود واحد في حفظ الصحة الموجودة واسترجاع الصحة المفقودة، وإن اختلفت علاجاتهم .... [66]" .

ولربما يجد القارئ أن لا إشكالية في هذا النص إذ أنه معلوم أن الدين واحد وأن الشرائع مُختلفة ولكن الاشكالية عند إخوان الصفا أن الكُتب السماوية من التوراة والانجيل والقران عندهم سواء لا فرق بينها وبين القران ولا فرق بينها قبل التحريف وبعده، ومما يقوم شاهد على ذلك هو موقفهم السمح من النصرانية وإقرارهم بأصالة الإنجيل، فتراهم يستشهدون بالإنجيل، وفي الاقتباس منها، مسلمين ضمناً بمحتواها، ومع أن القرآن يعد صلب المسيح تشبيهاً قال تعالى :﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النساء:157-158. نراهم يشيرون إلى هذا الصلب بعبارات توحي بالتصديق والاثبات، ويرون رأي النصارى في المسيح لما صُلب فارق لاهوته ناسوته ، ويذكرون قول النصارى على لسان المسيح: " أني ذاهب إلى ابي وابيكم وأنا أوصيكم بوصية قبل مفارقة لاهوني .... فإني إذا فارقت ناسوتي فإني واقف في الهواء على يمنة عرش أبي وأبيكم[67]" .

ولكن كيف نوفق بين دعوتهم لوحدة الأديان ونشرهم لعقيدتهم الباطنية الاسماعيلية؟ في الحقيقة أن دعوة وحدة الأديان المثنونة في الرسائل ليست إلا استدراجاً لأصحاب الفلسفات والديانات والعقائد لعقيدتهم الباطنية التي يدعون إليه والمبحث التالي يُجيب على المسوغات والاسباب التي وقفت على هذه العقيدة للوصول بها إلى عقيدة دينية فلسفية تلفيقية.

خطورة إخوان الصفا وأثرهم في الواقع المعاصر:

في الحقيقة أن كل عاقل ينظر إلى نصوص إخوان الصفا وفكرهم يلمس ظاهراً ذلك التلفيق بين الأديان والافكار والفلسفات، إذ إنهم يُلبسون لكل حال لبوسه، ويظهرون الموافقة لأصحاب الديانات الأخرى والمذاهب المتباينة.

وهذا الذي جعل بعض الكتاب ينبهرون بهم، يقول أحدهم " وهذا هو دين الحُب الانساني الذي بشروا به ودعوا إليه. ومن الطبيعي أن يتأثر بأفكارهم هذه عباقرة الفلاسفة من المتصوفة، وعلى رأسهم محي الدين بن عربي الذي نادى بدين الحب ووحدة الوجود ووحدة المعبود[68].

فهذه الرؤية ليست إلا محاولة لوضع نظام ديني جديد يحل محل الشريعة الإسلامية التي يزعم إخوان الصفا أنها أصبحت لا تؤدي رسالتها ، وهي دعوة إلى دين عالمي جديد وضعي ، على غرار مايفعل الغربيون المعاصرون، بوضعهم أسس نظام عالمي جديد يقوم على القوانين الوضعية التي تعارف عليها البشر، قِوامه الحرية والديمقراطية وحقوق الانسان وبلورتها العولمة في شتى المجالات " السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإعلامية "ويمخض عنها الإنسان الكوني الذي تجتمع في الصفات التي ينبغي – في زعمهم وصب أهوائهم – أن تكون قاسماً مشتركاً بين بني البشر.

ففكر إخوان الصفا تكمن خطورته كونه يتجاوز

المسحة الباطنية الاسماعيلية إلى فكر إنتقائي يجمع بين الكثير من المعتقدات الدينية والمذاهب الفكرية، وينفتح اصحابه على أفكار كل نِحلة. هذا التلفيق الذي تحدثنا عنه في المباحث السابقة – لا شك بأنه يشكل خطراً في استدعائه للواقع المعاصر من قبل بعض المفكرين.

ولقد استخدمت رسائل إخوان الصفا كلون من ألوان الغزو الثقافي والتغريب ممثلاً في الاستشراق والتنصير، وهو إعادة طبع واحياء رسائل إخوان الصفا من جديد: بهدف التشويش على خط الإسلام الاصيل الذي يمثله القرآن والسنة: فقامت المطبعة الكاثوليكية في بيروت بإعادة طبع هذه الرسائل[69].

ثم جاء دُعاة التغريب وتلاميذ المستشرقين في العالم الإسلامي فأعلوا من قيمة هذه الرسائل وقالوا: هي أعظم ذخيرة أدبية وفلسفية، وعلى رأس هؤلاء طه حسين[70] الذي ادعى أن إخوان الصفا قوم مجددون مصلحون، قدموا للمجتمع الفلسفات اليونانية والهندية والفارسية: لإنشاء ثقافة جديدة، هي الثقافة التي يجب على الرجل المستنير أن يظفر بها.

ومن المشروعات التلفيقية[71] التي ظهرت في عصرنا متأثرة بفكر إخوان الصفا مشروع "اليسار الإسلامي"[72] الذي حاول التوفيق بين الإسلام والماركسية. إذ اراد هذا المولود المشوّه أن يتبنى قضايا الثورة الاشتراكية والعدل الاجتماعي وغيرها من القضايا[73]، وهذا محمود إسماعيل يُعنون لهم في كتابه "إخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي" [74] ويقول عنهم " وسوف نلحظ ان إخوان الصفا كانوا رواد التنوير في الفكر العربي الإسلامي، لأنهم كانوا برجوازيي الانتماء، وسوف نثبت أن معظم النظريات والآراء التي طرقها الليبراليون الاوربيون سبق وطرقها إخوان الصفا، الأمر الذي يزكي مشروعية اعتبار فكرهم معبّراً عن أنواع تنويرية " عقلانية" "[75] فلقد وجد هؤلاء ضآلتهم في رؤى إخوان الصفا في التوفيق المشبوه عندما انفض الناس من دعوتهم الاشتراكية التي فشلت في عقر دارها، ونفر الناس من مبادئهم اليسارية فلجؤوا إلى حيلة التوفيق أسوة بأسلافهم الباطنيين والزنادقة . وهذا أسلوب المنافقين في كل زمان قال تعالى فيهم " وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً[76]".

وهذا مصطفى غالب يقول: في تعقيبه على نص رسالة من رسائل إخوان الصفا "رائدهم من وراء ذلك نشر الافكار الحرة في العالم الإسلامي وتشجيع الناس على المجاهرة بها بقصد إصلاح ما فسد من الأمور الدينية والاجتماعية، ومن أجل القضاء على دولة بني العباس " دولة أهل الشر " التي يعشعش فيها الفساد ويمسك بخناق المجتمع الإسلامي ويشيدوا على أنقاضها دولة " أهل الخير " أو " المدينة الفاضلة " ذات النظام المثالي المرتكز على فلسفة الاخلاق والسلوك والعبادة[77].

ويضيف إيضاً[78]" وبالرغم من أن واضعي هذه الرسائل العقلانية العرفانية قد احاطوا أنفسهم بهالة من الكتمان والتقية وتعمدوا إخفاء اسمائهم عن عامة الناس، زهداً في الشهرة، وحرصاً على حياتهم المهددة بالخطر في كل لحظة من قبل اصحاب السلطة، فقد راجت رسائلهم رواجاً عظيماً، أنارت الطريق لحملة الافكار الإصلاحية الحرة في العالم الإسلامي، وشجعت الناس على المجاهرة بها علناً بدون خوف أو وجل وبذلك مهدت السبيل لثورة فكرية عارمة تمخضت عنها تكوين الجماعات السرية في الإسلام.

وهذا البهاء مؤسس البهائية يتحدث بنفس المنهجية التي سار عليها إخوان الصفا فيقول: "ليست البهائية

طقساً من الطقوس، بل هي روح العصر، وأعلى ما وصل إليه عقل البشر من الكمالات في هذا الزمن ... إن الملكوت ليس خاصاً بجمعية مخصوصة، فإنه يمكنك أن تكون بهائيّاً ماسونيّاً وبهائيّاً مسيحياً وبهائياً يهوديّاً، وبهائياً مسلماً[79]. هكذا نجد أفكار الرسائل حاضرة في أفكار البهائية، وهذا على سبيل المثال لا على سبيل الحصر فالشواهد كثيرة على أثر رسائل إخوان الصفا بما تحمله من أفكار ظاهرة منتشرة في كثير من الفرق الباطنية المنحرفة .

فإخوان الصفا تكمن خطورتهم كونهم تجاوزوا المسحة الباطنية الإسماعيلية إلى فكر انتقائي يجمع بين الكثير من المعتقدات الدينية والمذاهب الفكرية، وينفتح أصحابه على أفكار كل نِحلة .هذا التلفيق الذي تحدثنا عنه في المباحث السابقة من هذه الدراسة – لا شك بأنه يشكل خطراً في استدعائه للواقع المعاصر من قبل بعض المفكرين. لذلك وجب التعمق في دراستهم لكشف مخططات هذه الفرق الهدامة كونها نموذجاً واستراتيجية يُحتذى بها من قبل الطاعنين في الإسلام وأهله على مستوى الأفراد والمؤسسات والدول[80].

الخاتمة وفيها أهم النتائج :

• يعد حضور إخوان الصفا و عقلها المستقيل في الثقافة الإسلامية سقوطاً وانحرافا لما مارسته من تأثير تلفيقي بين المذاهب والعقائد .

• يرى إخوان الصفا أنه ليس ما يمنع البتة من أخذ الحقيقة من هذا أو من ذاك رغم ما قد يختلف عليه الآخرون في بعض العقائد والافكار

• نستطيع حصر مصادر إخوان الصفا في الجانب الفكري العقدي بثلاثة مصادر هي: المصدر الفلسفي اليوناني التلفيقي والمصدر الإسلامي التلفيقي والمصدر الباطني.

• لابد لنا من القول بأن فلسفة هذه الرسائل ليست فلسفة أصيلة، وإنما هي محاولة لمزج العقائد الإسلامية بغنوص أفلوطين ثم بغنوص الغيثاغورية المحدثة، مع عملية توفيق. فليست في هذه الرسائل أصالة فكرية تعبر عن المجتمع والثقافة الإسلامية، كما يعبر عنها التصور الإسلامي الصحيح، إنها بلا شك محاولة فلسفية منسقة ولكنها بعيدة كل البعد عن روح الإسلام.

• يعلل إخوان الصفاء هذا التلفيق الذي مارسوه: "بأن الشريعة قد دُنست بالجهالات، واختلطت بالضلالات، ولا سبيل إلى غسليها وتطهيرها إلا بالفلسفة؛ لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية، فمتى انتظمت الفلسفة الاجتهادية اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال.

• يرى الباحث أن إخوان الصفا بالرغم من استدلالهم بالقرآن والحديث النبوي إلا انهم يجعلونهما في صف واحد ان لم يكونا متأخرين عن باقي المصادر في الاستشهاد من كتب الديانات والفلسفات فالمصدر الإسلامي الأصيل ليس له أولويه في رسائل إخوان الصفا.

• بسبب التلفيق الذي مارسه إخوان الصفا تعددت الاراء حول انتمائهم ومرجعياتهم .

• بعد قدوم المأمون وهو صاحب الاتجاه العقلي الاعتزالي رأى أن مقارعة هؤلاء لا تكون إلا بالعقل كأساس معرفي لأن الفرق الباطنية تؤمن بالغنوص، وهو بالوحي أشبه، الشيء الذي يربط الاتباع بـ " المعلم " بوصفة يتلقى الحقيقة من أعلى، وليس بالفكرة أو المذهب ، فلقد كان لابد أن يتجه التفكير إلى السلاح المضاد للغنوص وهو الجدل والمنطق كما رأى المأمون .

• لقد كانت الحركات الباطنية هي الدافع وراء استخدام المأمون واستنجاده بأرسطو في إطار استراتيجية عامة كانت تستهدف تذهيب الفلسفة حكماً في النزاعات الدينية الأيدلوجية. لتحطيم أفكار الباطنية بين الطبقة العامة والمثقفة أو أمام الجمهور.

• أن رسائل إخوان الصفا قد جاءت ضداً من طرف الباطنية على استراتيجية المأمون الثقافية، تلك الاستراتيجية التي استهدفت مقاومة الاطروحات الباطنية الغنوصية بأطروحات عقلية تعتمد علم ارسطوا ومنطقه بكيفية خاصة. فتأتي رسائل إخوان الصفا في إطار استراتيجية إسماعيلية مضادة تقوم على تكريس وتعميق الاتجاه "الباطني" بطريقة جديده توفق فيها بين مختلف الآراء واتخذت طريقها كدعوة مسلحة بالفلسفة اليونانية والغنوصية، مكونة مزيجاً لا مثيل له في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية.

• اخذ إخوان الصفا في رسائلهم بنظرية الفيض الافلاطونية للتدليل على آرائهم بالألوهية، وقد عمل إخوان الصفا على تلفيق عدة نظريات فلسفية في محاولتهم اظهار صحة معتقدهم في الألوهية، " فأخذوا بنظرية الفيض عن أفلوطين بالإضافة إلى فلسفة أرسطو القائلة بالهيولي والصورة. إلا أن هذه النظرية لم تقف عند هذا الحد فراحت تكرس فكرة الإمامة عند الاسماعيلية .

• ان تطبيق فكرة الفيض تهدم أحد دعائم الإسلام الاساسية وهي أن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، وهذه التصور ينبيء عن زيغ في العقيدة، وأن لم يظهر أثر هذا التطبيق في الرسائل إلا أنه ظهر في آراء من اتخذوا رسائلهم كتاباً يقتدى به أو دستورا للعقيدة وهم الاسماعيلية.

• ومن المشروعات التلفيقية التي ظهرت في عصرنا متأثرة بفكر إخوان الصفا مشروع "اليسار الإسلامي "الذي حاول التوفيق بين الإسلام والماركسية.

• تكمن خطورة إخوان الصفا كونهم تجاوزوا المسحة الباطنية الاسماعيلية إلى فكر إنتقائي يجمع بين الكثير من المعتقدات الدينية والمذاهب الفكرية، وينفتح اصحابه على أفكار كل نِحلة. لا شك بأنه يشكل خطراً في استدعائه للواقع المعاصر من قبل بعض المفكرين. لذلك وجب التعمق في دراسته لكشف مخططات هذه الفرق الهدامة كونها نموذجاً واستراتيجية يُحتذى بها من قبل الطاعنين بالإسلام وأهله على مستوى الافراد والمؤسسات والدول.

الهوامش:

(1) النزعة التلفيقية هي الاقتباس من جميع المذاهب – التي قام بها الغنوصيون يرجعها الباحثون إلى العصر الهلينستي الذي يلي وفاة الإسكندر، وهو العصر اليوناني الروماني المختلط، والهلينستي نسبة إلى الهيليين أي اليونانيين، ويقع بين القرن الرابع قبل الميلاد، وحتى منتصف القرن السابع الميلادي، وسادت فيه حركات فلسفية من رواقية، وأبيقورية، ومدارس الشكاك تلتها الاتجاهات التوفيقية الانتقائية، والاتجاهات الدينية العرفانية(، والفلسفة الهلينية اليهودية، ثم الأفلاطونية الحديثة والعرفانيات الشرقية ". أنظر: شرف، محمد جلال محاضرات في تاريخ الفلسفة القديمة والعصور الوسطى، بيروت: دار كريديه إخوان، 1983م، ص 13–15.انظر: إميل برييه، تاريخ الفلسفة الهلينستية والرومانية، ترجمة: جورج طرابيشي ،بيروت: دار الطليعة، 1982م. حكمة الغرب، بتراندرسل، ترجمة: فؤاد زكريا الكويت: عالم المعرفة، 1403هـ –1983م، ص 189–194.

أما التوفيقية فهي: ((الجمع بين الآراء المتشابهة في المذاهب المختلفة في كل موحّد يقدم جديداً يعلو عليها منفردة. وتختلف نزعة التوفيق عن نزعة التلفيق بتعمقها للأمور وتدقيقها ونظامها المتماسك))أنظر: الحفني. عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة. مكتبة. مدبولي. القاهرة. الطبعة الثالثة 1420هـ/2000م.ص 872 ((نزعة توفيقية)).

(2) شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، القاهرة : مكتبة النهضة المعرفية ، جـ ،2 ص: 146 ،

(3) وهذه الأفكار والاعتقادات ليست جديدة، فهي أفكار جاء بها بعض علماء اليهود من قبل وأولوا التوراة على أساس الفلسفية الأفلاطونية الحديثة، والتي شوهت التوراة وحرفتها عن طريق التأويل وادعت الجمع بين التأويل الباطني وادعاء الكشف عن الغيب وأسرار الحروف وغير ذلك من التلفيق الواضح بين فلسفة الاغريق والافلاطونيه الحديثة ورواسب من عقائد الفرس، وهذا الاتجاه التلفيقي كان واضحاً في مجتماعات الفلاسفة في اليونان والإسكندرية ، وهي التي كانت تعرف بجمعيات أهل العرفان أو الجمعيات الغنوصية " الذين يرون أن علمهم الباطن هو العرفان، الذي يهبط على قلوبهم إشراقاً أو وحياً دون واسطة ودون مُعلم ، وهذه الجمعيات السرية وجُدت منذ زمن بعيد ، وحاولت نسخ الأديان الموحى بها من يهودية ومسيحية وإسلام عن طريق ضرب بعضها ببعض ، ثم خربها جميعاً ببعض الآراء الفلسفية لفتح الطريق أمام ما يسمونه الدين العالمي الذي تحدث عنه الحلاج والكتاني وابن عربي. انظر: دراسات في الفلسفة الإسلامية، قاسم، محمود، الطبعة الخامسة، مصر: دار المعارف، 1973.ص256.

(4) سيكون الحديث عن هذا التيار في المبحث الأخير من هذه الدراسة، انظر: ص: 22.

(5) نقلاً عن فكرة الزمان عند اخوان الصف، صابر عبده أبا زيد، ص: 14.

(6) عارف تامر: اسماعيلي نزاري متعصب لفكرة الباطنية تعصباً اعمى يقلب الحقائق ويموه الاحداث، ومن مؤلفاته الامامة في الإسلام وكتاب القرامطة أصلهم وتاريخهم ونشاتهم ، جند عارف تامر نفسه لنشر تراث الإسماعيلية حيث نشر ثلاث رسائل علمية عن الإسماعيلية وكتاب الرياض للكرماني وغيرها الكثير لمزيد من التفاصيل حول عارف تامر والكتاب المعاصرين للإسماعيلية أنظر الإسماعيلية تاريخ وعقائد لإحسان الهي الطبعة الاولى،1406 هـ، دار عالم للكتب ص: 7–8 لا سيما بالهامش .

(7) اسماعيلي معاصر عاش في لبنان وسوريا. نذر حياته لنشر مذهب الإسماعيلية والدعوة اليها وفي مؤلفاته ما يدل على تعصبه الشديد وقلب الحقائق والتلاعب بالألفاظ. من مؤلفاته أعلام الإسماعيلية، وتاريخ الدعوة الإسماعيلية، وغيرها. المصدر السابق، نفس الصفحة.

(8) حاولت الدراسة اختصار موضوع النشأة بما يخدم الموضوع المحدد للدراسة لكثرة الكتب والمقالات التي استنزفت موضوع النشاة.

(9) هو علي بن محمد بن العباس التوحيدي ، فيلسوف عاش في القرن الرابع الهجري وتوفي سنة 400هـ ، وله كتب كثيرة وقد كتب الإمتاع والمؤانسة للوزير أبي عبدالله أحد وزراء امام الدولة البوهية وهو مادار بين التوحيدي وهذا الوزير .انظر: التوحيدي، أبو حيان، كتاب المقابسات ، تقديم د، عبد الأمير الأعسم، دار الأندلس، الطبعة الثانية ، 1983م، المقدمة.

(10) التوحيدي، ابو حيان، الإمتاع والمؤانسة، جـ 2 ، المكتبة العصرية، بيروت، 1953م ص: 4 – 5.

(11) يوجد الكثير من الآراء حول وقت ظهور هذه الجماعة انظر: صابر عبده، فكرة الزمان عند إخوان الصفا، أبا زيد، مكتبة مدبولي، 1999م، الطبعة الأولى، ص: 38. وانظر: فروخ، عمر، تاريخ الفكر العربي، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، 1982م، ص: 390.

(12) رسائل: إخوان الصفاء وخلان الوفاء، بيروت: دار صادر، 1376هـ –1957م، جـ 1 – ص 147.

(13) الرسائل: جـ4، ص: 41.

(14) الرسائل: جـ3. ص: 446.

(15) ليس هذا ما عمدت إليه الرسائل بل كانت فكرة الحقيقة وأخذها من الأديان والشرائع في باب العقيدة والاعتقاد وليس كما زعم القوم

(16) الرسائل: جـ3، ص:486 – 501.

(17) البهي، محمد الجانب الإلهي في التفكير الإسلامي، القاهرة، مكتبة وهبة، الطبعة السادسة،1989م، ص: 221.

(18) انظر عابد، منصور عابد، الماسونية العالمية وموقف الانسان منها والأديان، . مصر: مطبعة الزمان، الطبعة الأولى، 1988.

(19) الرسائل: جـ 1 ص: 167.

(20) انظر: الشكعة، مصطفى إسلام بلا مذاهب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة، ص: 241؛ 132.

(21) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، مكتبة الحياة للطباعة والنشر، صححه وضبطه: أحمد أمين وآخرون، ج2، ص : 5.

(22) انظر في ذلك :عبدالرزاق، مصطفى، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، القاهرة مكتبة الثقافة الدينية ،ب.ط، ص: 20 .

(23) بولس باسيم، تاريخ الكنيسة المفصل، الطبعة الأولى، ترجمة: أنطوان الغزال، صبحي اليسوعي (بيروت: دار المشرق، 2002م)، ج1، ص 74.

(24) الأفلاطونية الحديثة هي: ((مزيج ملفق من فلسفات فيثاغورس وأفلاطون وأرسطو، وأضيف إليه شيء من الفلسفة الهندية)). عمر فروخ، تاريخ الفكر العربي، ص 130. وللاستزادة عن مصادر الأفلاطونية الحديثة. انظر: بدوي، عبد الرحمن– الأفلاطونية المحدثة عند العرب؛ ب– خريف الفكر اليوناني، ص 109 (وما بعدها)؛ أميرة حلمي، الفلسفة اليونانية، ص 443 (وما بعدها)؛ محمد جلال شرف، محاضرات في الفلسفة القديمة والعصور الوسطى، ص 114.

(25) التي سنطلع عليها من خلال هذه الدراسة إن شاء الله.

(26) الغنوصية (Gnosticism) مأخوذة من لفظة الغنوص (gnose) أو الغنوسيس (gnosis)، وهي كلمة يونانية الأصل معناها المعرفة أو المعرفة الفائقة أو العرفان. وتستعمل بمعنى الحكمة والعلم، أو هي العلم بلا واسطة.

(27) وعن أثرها في القدرية: فالغنوص أثر في فكر القدرية وذلك عن طريق المجادلات والمناظرات التي دارت بين المسلمين والمسيحيين – وقد تحدثنا عن انتقال الأفكار الغنوصية عن طريق الجدل في هذا البحث. وانظر في أثر الغنوصية في القدرية: البداية والنهاية، ج1، ص 34؛ جولدزيهر، العقيدة والشريعة، ص 83–84.

وأمّا عن أثر الغنوصية في الجهمية: فيتمثل في نفي الصفات عن الله تعالى، وتأويل الآيات. وإنكار الميزان والشفاعة وعذاب القبر، وقالت الجهمية بحلول الله وتناسخ الأرواح وهذا القول أخذوه عن السمنية وهي فرقة غنوصية هندية. وكذلك قولهم بخلق القرآن وكان مصدره يهودياً غنوصياً لأن اليهود قالوا أيضاً بخلق التوراة. انظر: الملل والنحل، ج1، ص 86، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج1، ص 331–334.

أمّا عن أثر الغنوصية في المعتزلة: فقد دخل الغنوص في أعماق الفكر المعتزلي وذلك عن طريق الترجمة، وعن طريق مجادلتهم للمذاهب الغنوصية فتأثروا بهم.

ومن الآراء الغنوصية عند المعتزلة: نفي الصفات عن الله وأن الله لا يفعل الشر والقول بخلق القرآن وتعظيم العقل. انظر: الملل والنحل، ج1، ص 49–53؛ الفرق بين الفرق، ص 132–133؛ نشأة الفكر الفلسفي، ج1، ص 445–485.

أمّا المرجئة فتظهر غنوصيتهم في قولهم إن الإيمان هو التصديق بالقلب والعمل ليس داخلاً في الإيمان ومذهبهم هذا يفضي إلى الإباحية وترك الفرائض وهذا مسلك غنوصي عُرف عند المزدكية.

(28) انظر: سليمان عبد الله السلومي، أصول الإسماعيلية دراسة نقدية تحليلية، الرياض دار الفضيلة،

(29) محمد البهي، الجانب الإلهي في التفكير الإسلامي، القاهرة، مكتبة وهبة، الطبعة السادسة،1989م، ص: 221.

(30) انظر: النشار، نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام، القاهرة: دار المعارف، ج2، ص: 289.

(31) لا تخلوا هذه الأحاديث من ضعف ووضع غالباً. إذ أوجه المتخصصين بالحديث إلى تحقيق آحاديث رسائل إخوان الصفا.

(32) الرسائل: جـ 4: ص 42 – 43.

(33) الرسائل: جـ4. ص: 41.

(34) الرسائل: جـ 1 ص: 55.

(35) لقد نسبت الشيعة إلى الإمام جعفر الصادق بالذات: العلم بما كان وماهو كائن وما سيكون إلى يوم القيامة وأن عنده علم الجفر وهو: كتاب مكتوب في جلد ثور صغير. والجفر منه الابيض ومنه الأبيض ومنه الأحمر، والابيض فيه زبور داود، وتوراة موسى وانجيل عيسى وصحف إبراهيم والحلال والحرام. والأحمر وهو السلام يفتحه صاحب السيف أو القائم للقتل، ونرى أن هذه مجرد آراء منسوبة إلى الشيعة: يراجع ذلك تفضيلاً: الالهيات لدى الشيعة الاثنى عشرية: رسالة ماجستير، د.صابر عبده أبا زيد، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، 1988م. ص 56.

(36) الرسائل : جـ 4 : ص 43 .

(37) ابن تيمية، مجموع الفتاوي (78/4 – 79)، (12 / 23) ،(35 / 133 – 135 – 153) .

(38) الباطنية فرقة تحكم بأن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً". وجاء في تعريفها أيضاً "لقب عام مشترك تندرج تحتها مذاهب وطوائف عديدة". وسميت بالباطنية "لكثرة ما في المذهب من الأسرار في الاعتقادات والرموز في العبادات". انظر الغزالي، أبو حامد، فضائح الباطنية: تحقيق: عبد الرحمن بدوي (الدار القومية للنشر: 1964م)، ص 13–14، وانظر: البغدادي، عبد القاهر، الفرق بين الفرق، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد محيي الدين (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1413هـ– 1993م)، ص 280–285؛ انظر: أبي الفتح محمد الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل (دار الفكر)، ج1، ص 228 .

(39) ويذهب الى ذلك د. عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، الطبعة الأولى ن، دار العلم للملايين بيروت: 1971م. ومحمود اسماعيل، د. عز الدين فودة وبعض المستشرقين.

(40) للاطلاع على هذا الرأي كاملاً مفصلاً يمكن الاطلاع على محمد عبد الحميد، صابئة حران وإخوان الصفا، الطبعة الاولى ،1998م، سوريا: الأهالي للطباعة والنشر، ص: 143 وما بعدها.

(41) ابن تيمية، مجموع الفتاوي ، القاهرة: دار الحديث، طبعة 2006م، جـ2، ص 317.

(42) ويذهب إلى هذه الاتجاه على سبيل المثال لا الحصر، د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية. ص:465. وعارف تامر: حقيقة إخوان الصفا وخلان الوفا. ص: 10–13. وهنري كوربون، تاريخ الفلسفة الإسلامية، بيروت، منشورات عويدات، ص: 210. ودكتور عاطف العراقي و. وعلي سامي النشار. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام

جـ2. ص 292.

(43) الإسماعيلية: هم الذين قالوا: الإمام بعد جعفر محمد بن إسماعيل بن جعفر، وأنكروا إمامة سائر ولد جعفر، ومنها انبثقت القرامطة والدروز وغيرهم. وللإسماعيلية فرق متعددة وألقاب كثيرة. ومذهبهم: نفي الصفات، وإبطال النبوة والعبادات وإنكار البعث. والإسماعيلية من فرق الشيعة.انظر: فضائح الباطنية ،أبو حامد الغزالي، تحقيق: عبد الرحمن بدوي (الكويت: مؤسسة دار الكتب الثقافية)، ص 37 – 40. الشهرستاني، الملل والنحل: تحقيق: محمد الكيلاني (مطبعة مصطفى الحلبي، 1987هـ)، ج1، ص ص 167–191.

(44) عبد اللطيف محمد العبد، الإنسان في فكر إخوان الصفاء (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية)، ص 26.

(45) الرسائل : جـ 4 : ص 71 الرسالة الأولى .

(46) الرسائل : جـ 4 : ص 98 الرسالة الثالثة .

(47) الرسائل : جـ 4 : ص 242 الرسالة السابعة .

(48) الرسائل : جـ 4 : ص235 الرسالة السابعة .

(49) الرسائل : جـ 1 : ص 20 .

(50) الرسائل : جـ 4 : ص 113 الرسالة الرابعة .

(51) الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم، فرهاد دفتري، ترجمة سيف الدين القصير، دار الساقي ، الطبعة الأولى،2012م،ص: 390.

(52) انظر: الكرماني، أحمد حميد الدين، راحة العقل، تحقيق مصطفى غالب ، بيروت: دار الاندلس، ص: 171–173 .

(53) الرسائل : جـ 1 : ص 221 الرسالة الثامنة .

(54) عمر فاروق، التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين دراسة نقدية في تفسير التاريخ، مكتبة النهضة، بغداد، 1985م ، ص 121– 128.

*ونلاحظ أن مصطلح الزندقة توسع في العصور العباسية المتأخرة، وبات يطلق على كل ذي بدعة أو مشكك من غير أن يكون مانوي المذهب فذهب الغزالي الى القول بأن كل محاولة اجتهادية تخالف المذاهب السلفية وتنحرف عنها في التفسير.

(55) ومنها كتاب احمد بن حنبل " كتاب الرد على الزنادقة والجهمية " وكتاب المسعودي " إلابانه عن اصول الديانه " وغيرهم.

(56) الغنوصية (Gnosticism) مأخوذة من لفظة الغنوص (gnose) أو الغنوسيس (gnosis)، وهي كلمة يونانية الأصل معناها المعرفة أو المعرفة الفائقة أو العرفان. وتستعمل بمعنى الحكمة والعلم، أو هي العلم بلا واسطة: انظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، الجزء2 غنوصية، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984م، ج2، ص 86. مراد وهبة، المعجم الفلسفي ، الطبعة الرابعة (دار قباء للنشر والتوزيع: 1998م)، ص 485، ((غنوصية))؛ النشار، علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، 3 أجزاء، الطبعة السابعة (القاهرة: دار المعارف، 1977م)، ج1، ص 186.

(57) يرى الباحث أن المأمون كان مخطئاً بإسناد مهمة الدفاع عن العقيدة والدولة للفسلفة والمنطق لبُعدها عن روح الأمة الإسلامية، إذ لم تكن الأداة الحقيقية في الدفاع عن الإسلام عقيدة ودولة.

(58) عمر فاروق، التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، بغداد: مكتبة النهضة، الطبعة الثانية، 1985م ، ص 121 .

*محاربة المانوية مصطلح أصبح يضم الباطنية أو بات يطلق على كل ذي بدعة أو مشكك من غير أن يكون مانوي المذهب ولقد وسع هذا المصطلح حين أدخل فيه كل محاولة اجتهادية تخالف المذاهب السلفية وتنحرف عنها في التفسير.انظر: الغزالي ،المنقذ من الظلال، ص 18 وما بعدها.

(59) وتعد من أهم مقتبسات الغنوصية من أفلوطين وهي نظرية الفيض والصدور، وتسمى بنظرية العقول العشرة. وملخصها هو: كيف صدر هذا العالم المادي عن الله الذي هو عندهم عقل محض مجرد عن المادة؟ لحل هذا التساؤل اخترعوا فكرة العقول العشرة، وهي الوسائط الطبيعية بين الله والعالم. فقالوا: " إن الله الذي هو في طبيعته عقل محض، فاض عنه عقل هو العقل الأول، وأن ذلك العقل حين عقل ذاته صدر عنه فلك وهو جرم ونفس، وأن العقل الأول حين يعقل مبدأه يصدر عنه عقل آخر وهو العقل الثاني، وأن العقل الثاني عندما يعقل ذاته يصدر عنه فلك وهو جرم ونفس أيضاً، وعندما يعقل مبدأه يصدر عنه عقل آخر وهو العقل الثالث، وهكذا يستمر الصدور إلى أن ينتهي الأمر إلى العقل العاشر، فينتهي صدور العقليات حيث تصدر عنه الهيولى وهي المادة الأولى التي تشترك فيها جميع الأجسام، كما تصدر عنه النفوس، ويسمى العقل العاشر بالعقل الفعال، وعند الفلاسفة أن العقل الفعّال: هو المدبر لهذا العالم وهو المهيمن عليه، وأن من أراد اكتساب المعارف والنبوة فعليه أن يستعد لبلوغ مرتبة العقل والتهيؤ لذلك، وتكون لديه قوة مخيلة وقوة قدسية –وهي الحدس– ثم له بعد ذلك أن يكون حكيماً فيلسوفاً أو نبياً. وعلى هذا فالنبوة عندهم مكتسبة ليست اصطفاء من الله عزّ وجل" انظر: بدوي، عبد الرحمن، أفلوطين عند العرب، ، ص134–142؛ الجمع بين رأي الحكيمين أفلوطين الإلهي وأرسطوا طاليس، ص5؛ الألوسي، حسام ، دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1400هـ–1980م) ص166..

(60) "لقد أثرت الأفلاطونية المحدثة في عدة طوائف حملت أسماء المسلمين، وكانت هذه الطوائف قليلة متناثرة، كغلاة الشيعة والبابية والبهائية، أخذوا بكثير من قواعد الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، ولكن تتصل تلك المذاهب صلة أوضح بالغنوصية الشرقية الممتزجة بعقائد أفلاطونية حديثة من ناحية، ومن ناحية أخرى بفلسفة الهرامسة التي سادت الإسكندرية قبل ظهور أفلوطين بوقت قصير جدّاً انظر: ". نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج1، ص 185. وانظر: الفلسفة اليونانية، ص 425؛

(61) الرسائل : جـ 3 : ص 197 ، 198 الرسالة الأولى .

(62) انظر: جولدزيهر، محاضرات في اتجاهات المسلمين في تفسير القرآن.

(63) انظر: الكرماني، أحمد حميد، الدين راحة العقل، تحقيق مصطفى غالب، بيروت: دار الاندلس. ص 150 .

(64) انظر الرسائل : جـ 2 : ص 171 – 179 ، الرسالة السادسة .

(65) انظر : عمر فروخ، تاريخ الفكر العربي، بيروت : دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، 1982م ، ص : 390 .

(66) انظر الرسائل : جـ 2 : ص 120 – 121 ، الرسالة السادسة .

(67) الرسائل : جـ 4 : ص 97 ، الرسالة الثالثة .

(68) مصطفى غالب، في رحاب إخوان الصفا وخلان الوفاء، لبنان: بيروت، 1969، الطبعة الأولى، ص 8 .

(69) أ محزون، محمد ، مجلة البيان، مقال بعنوان " إخوان الصفا جناح فكري للباطنية، العدد 271، ص 73.

(70) انظر: مقدمة الرسائل – تقديم طه حسين. المقدمة.

(71) انظر: محمد أحمد علي، نقض الجذور الفكرية للديمقراطية الغربية، ضمن سلسلة المنتدى الإسلامي، الطبعة الأولى، 1423هـ-2002م،ص:24.

(72) حسن حنفي من أهم المفكرين الذين طرحوا شعار اليسار الإسلامي . انظر (افتتاحية مجلة " اليسار الإسلامي " العدد الأول ،(1981 – 1401هـ) انظر كذلك " اليمين واليسار في الفكر الديني ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، حسن حنفي . التراث والتجريد، حسن حنفي ، مكتبة الجديد ، تونس ، ص87 . وأمثال فتحي عثمان صاحب كتاب "الفكر الإسلامي وتطوره "، والذي قدم فيه لأول مرة أطروحات حول إعادة صياغة الفكر الإسلامي بما يتوائم مع العصر، خاصة فيما يتعلق بحقوق الانسان والديمقراطية وحقوق غير المسلمين.

(73) انظر: أركون، محمد، الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ومجموعة من المستشرقين، ترجمة وإعداد هاشم صالح، دار الساقي بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، 2000م .

(74) اسماعيل، محمود، إخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي، عامر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1996م،

(75) المصدر السابق، ص: 15.

(76) سورة النساء: الآية: 61 – 62.

(77) غالب، مصطفى، في رحاب إخوان الصفا وخلان الوفاء، لبنان: بيروت، 1969، الطبعة الأولى ، ص 10 منشورات حمد .

(78) المرجع السابق: ص 21

(79) الوكيل، عبد الرحمن، البهائية تاريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنية والصهيونية، مطبعة السنة المحمدية. القاهرة. الطبعة الأولى 1381هـ/ 1962م،ص 151-181.

(80) جاءت هذه الدراسة مرتبطة بالواقع المعاصر الذي تمر به أمتنا اليوم وما الهجمة الشرسة من قبل الفرق الباطنية على أمتنا إلاّ خير مثال على خطورة القوم ومخططاتهم.

المصادر والمراجع:

1- القران الـكريم

2- أ محزون، محمد، مجلة البيان ، مقال بعنوان " إخوان الصفا جناح فكري للباطنية ، العدد 271 ،

3- أبا زيد، صابر عبده، الإلهيات لدى الشيعة الاثنى عشرية : رسالة ماجستير ، ، جامعة الإسكندرية ، كلية الآداب ، 1988م .

4- إبن تيمية، احمد بن عبد الحميد، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب. عبد الرحمن قاسم النجدي وابنه. مطابع الرياض. الرياض 1381هـ.

5- اركون، محمد، ومجموعة من المستشرقين، الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ترجمة وإعداد هاشم صالح ، دار الساقي بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ، 2000م .

6- اسماعيل، محمود، إخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي، عامر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1996م،

7- الألوسي، حسام، دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1400هـ-1980م

8- باسيم، بولس، تاريخ الكنيسة المفصل، الطبعة الأولى، ترجمة: أنطوان الغزال، صبحي اليسوعي بيروت: دار المشرق، 2002م.

9- بتراندرسل، حكمة الغرب، ترجمة: فؤاد زكريا (الكويت: عالم المعرفة، 1403هـ – 1983م)،

10- بدوي، عبد الرحمن أفلوطين عند العرب. وكالة المطبوعات. الكويت. الطبعة الثالثة 1977م.

11- بدوي، عبد الرحمن، الأفلاطونية المحدثة عند العرب.. مكتبة النهضة المصرية 1955م.

12- بدوي، عبد الرحمن، خريف الفكر اليوناني.مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. الطبعة الرابعة 1970م.

13- بدوي، عبد الرحمن، مذاهب الإسلاميين، الطبعة الأولى ن، دار العلم للملايين بيروت: 1971م.

14- بدوي، عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984م،

15- برييه، إميل، تاريخ الفلسفة الهلينستية والرومانية، ترجمة: جورج طرابيشي بروت: دار الطليعة، 1982م

16- البغدادي، عبد القاهر، الفرق بين الفرق، ،الطبعة الثانية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1413هـ- 1993م)

17- البهي، محمد، الجانب الإلهي في التفكير الإسلامي، القاهرة، مكتبة وهبة، الطبعة السادسة،1989م.

18- التوحيدي، أبو حيان كتاب المقابسات تقديم د عبد الأمير الاعسم، دار الأندلس، الطبعة الثانية ، 1983م

19- التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، مكتبة الحياة للطباعة والنشر، صححه وضبطه: احمد امين وآخرون ، د.ت

20- جولدزيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، الطبعة الثانية، ترجمة: محمد يوسف موسى، حسن عبد القادر مصر: دار الكتب الحديثة د.ت.

21- الحفني، عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة.. مكتبة. مدبولي. القاهرة. الطبعة الثالثة 1420هـ/2000م.

22- حنفي، حسن، التراث والتجريد ، مكتبة الجديد ، تونس، د.ت.

23- حنفي، حسن اليمين واليسار في الفكر الديني، القاهرة: مكتبة مدبولي. د.ت.
24- الخطيب، أحمد، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، الطبعة الثانية الأردن: مكتبة الأقصى، 1986م.
25- دفتري، فرهاد، الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم، ترجمة سيف الدين القصير، دار الساقي ، الطبعة الأولى،2012م
26- رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، بيروت: دار صادر، 1376هـ - 1957م
27- شرف، محمد جلال، محاضرات في تاريخ الفلسفة القديمة والعصور الوسطى، بيروت: دار كريديه إخوان، 1983م .
28- الشكعة، مصطفى، إسلام بلا مذاهب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،الطبعة الرابعة . د.ت.
29- شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية القاهرة : مكتبة النهضة المعرفية . د.ت.
30- الشهرستاني، أبي الفتح محمد، الملل والنحل، الطبعة الأولى، تحقيق: أحمد فهمي، بيروت: دار الكتب العلمية، 1410هـ -1990م.
31- الشهرستاني، الملل والنحل: تحقيق: محمد الكيلاني، مطبعة مصطفى الحلبي، 1987هـ
32- عابد، عابد منصور، الماسونية العالمية وموقف الانسان منها والأديان، مصر: مطبعة الزمان، الطبعة الأولى، 1988.
33- عبد الحميد، محمد، صابئة حران وإخوان الصفا"، الطبعة الأولى، سوريا: الاهالي للطباعة والنشر ،1998م.
34- العبد، عبد اللطيف محمد، الإنسان في فكر إخوان الصفاء، ، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
35- عبدالرزاق، مصطفى، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، القاهرة مكتبة الثقافة الدينية ،د.ت.
36- علي، محمد احمد نقض الجذور الفكرية للديمقراطية الغربية، ضمن سلسة المنتدى الإسلامي، الطبعة الأولى، 1423هـ-2002م،
37- عواجي، غالب، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، الطبعة الرابعة جدة: المكتبة العصرية الذهبية، 1422هـ - 2001م .
38- غالب ، مصطفى، في رحاب إخوان الصفا وخلان الوفاء ، لبنان : بيروت ، 1969 ، الطبعة الأولى ،
39- الغزالي، أبو حامد، فضائح الباطنية، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، الدار القومية للنشر: 1964م
40- الغزالي، أبوحامد. المنقذ من الضلال. نشر وتحقيق وتقديم: عبد الحليم محمود. الطبعة الخامسة 1385هـ.
41- الفارابي، أبو نصر، الجمع بين رأي الحكيمين أفلاطون الإلهي وأرسطو طاليس. تحقيق البير نصري نادر. بيروت 1968م.
42- فاروق، عمر، التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، بغداد : مكتبة النهضة، الطبعة الثانية ، 1985م .
43- فروخ، عمر، تاريخ الفكر العربي، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ، 1982م .
44- قاسم، محمود، دراسات في الفلسفة الإسلامية، الطبعة الخامسة، مصر: دار المعارف، 1973.
45- الكرماني، أحمد حميد، الدين راحة العقل، تحقيق مصطفى غالب ، بيروت: دار الأندلس. د.ت.
46- كوربون، هنري، تاريخ الفلسفة الإسلامية، بيروت، منشورات عويدات،د.ت.
47- مجلة " اليسار الإسلامي " العدد الأول ، 1981 - 1401هـ.
48- النشار، علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام. دار المعارف. القاهرة. الطبعة السابعة 1971م.
49- النشار، علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، الطبعة السابعة، القاهرة: دار المعارف، 1977م.
50- الوكيل، عبد الرحمن، البهائية تاريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنية والصهيونية، مطبعة السنة المحمدية. القاهرة. الطبعة الأولى 1381هـ/ 1962م.
51- وهبة، مراد، المعجم الفلسفي، الطبعة الرابعة (دار قباء للنشر والتوزيع: 1998م.

Mixing Nodal with Ikhwan Al-SAFA

Mohamed Abdel Hamid alqtaunh

Abstract

This study seeks to identify the features of the intellectual mixing nodal at the Ikhw Al-Safa' and to look for the sources of this misrepresentation in the cognitive structure. The study attempted to identify this type of fabrication in theology, prophecies, and how this group based Islamic Gnosticism through misrepresentation which practiced in their messages. Further, the study discussed the new curve represented by the Ikhwan Al-SAFA in Islamic culture when they used Hermes and Greek philosophy to defend their faith against the Abbasid authority in the call which used mental approach of the isolationist in defending its legitimacy.